مســـــــــــودة

ســــــــــــيرة وعبــــــــــــــــرة

مهداة

لذكرى والدي عبدالله بن ختلان قدس الله روحه

ووسع قبره وجمعنا به في جناته، ووالدتي وإخواني وأخواتي، وكافة الذرية، والأحبة، والعارفين، والأصدقاء. آمين

الرياض – ذو الحجة 1437 هـ

{معدلة في رجب 1443 هـ}

عناوين بديلة للسيـــــــــــــــرة

" مكتوب الأحبة "

" أحاديث مجالس الأمين "

" عظات من حياة "

" عمرٌ و عبر "

" أرواح السلف "

" ------- ___ "

المقدمـــــــــــة

الحمد لله الذي قدر الموت والحياة ليبلونا أينا أحسن عملا، والصلاة والسلام على نبيه المصطفى الذي تعلمنا من سيرته العظات والعبر، والسلام على بقية الأنبياء والصالحين، الذين قال سبحانه إن في قصصهم عبرة لأولي الألباب، وأسأله أن يجعلني وأحبتي ممن يستفيدون من سيرة وتجارب من سبقوهم، ويتعلموا من خطواتهم نحو النجاح أو من عثراتهم في الحياة، وبما يعود عليهم بالنفع في دنياهم وآخرتهم. لقد وضعت هذا المكتوب (مسودة ثالثة) ليقرأه الأحبة من ذرية والدي (عبدالله بن خثلان) وكذلك نفر من أقاربه ومعارفه، ولغرض واحد هو استخلاص العبرة من مسيرة حياته الخصبة، والتي مر أثناءها بمراحل مختلفة من النجاح والتعثر. وكلي أمل أن يتمكن النابهون من الأحبة لاستخلاص بعض تفاصيل حياة ذلك الرجل رحمه الله، ويستوعبوا المواعظ التي يمكن للعارفين استخراجها بأنفسهم ثم الاستفادة منها في مسيرة حياتهم، حيث لن أذكر ما استخلصته لنفسي منها، لأني أعتقد أن من لا يقدر على استخلاص الموعظة فلن يستطيع الاستفادة منها، ويكفينا أن الموت الذي فيه أعظم عبرة إلا أن الكثير لا يدركونها، ورغم أن الكل يعلمون وجوب الموت ثم الفناء بعده، لكن ليس كلهم من يتعظ ويدرك ما بعد ذلك ثم يعمل له. أستأذن أحبتي بالإشارة إلى أن كتابة السير الذاتية هي عمل **"أناني بحت!"** لأن كاتبها يفترض أن وجهة نظره هي الحقيقة التي يجب قبولها، ومع هذا فهي ذات فوائد جمة، لمن لديه الرغبة والقدرة على التمحيص والاستخلاص. لقد خلقنا سبحانه لعبادته والعمل الصالح، حيث هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها، وعمارة الكون من ذلك وذروة سنامها عمارة أول بيت وضع للناس للعبادة نحوه. وسواء عاش المرء 95 أو 95، أو59 سنة فإنه لابد ميت، ثم يحاسب عن عمره فيما قضاه وما تركه من آثار عمله الصالح، وما خلفه من تراث

وتجارب وقدوة ومعالم للطريق، ولكن أنى لنا أن نفهم ذلك قبل حلول الأجل وانقضاء الأمل وانقطاع العمل، نسأله الرشاد والسداد.

سيتساءل البعض عن ماهية هذا المكتوب ومضمونه وما يحويه؟ ثم لماذا كتب؟ أبداء بالإيضاح أنه ليس اجترار للتواريخ البالية ونبش القبور، ولا محضر الجلسات ولا مدونة نقاش، كما أنه ليس دفتر حياة ولا سجل يوميات ولا مذكرات شخصية ولا سرد للوقوعات ولا مفكرة أحداث، وهو أيضا ليس رواية ولا قصة عمر أو درب حياة ولا ترجمة أحد الأعلام. وهو لا يتضمن سجل انجازات ولا بيان التنفيذ ولا تقرير بيروقراطي لتفخيم وتمجيد موظف حكومي أجير، يمن على قومه بأنه أدى العمل المكلف به. ما هو إذاً؟ أقول لأحبتي الذين "حررت" لهم هذا المكتوب أنه "عظات من حياة" ونبراس للاستفادة من أحداث السنين والتجارب والدروس، التي مر عليها سلفهم الشامخ طيلة سنين القرن (الهجري) الماضي. آملا أن يجدوا فيها ما وجدته أنا من فوائد بمعرفة نتائج المداولات وثمار النقاش، واستيعاب دروس السابقين ومعرفة النجاح والخطاء عندهم، واستشراف ما كان لديهم من أحوال وأحداث، وما كانوا يعرفون وما يجهلون. إنه حراسة للذاكرة واسترجاع للذكريات واستعصار للفكر، بعد أن وهن العظم واشتعل الشيب ودحمل الجلد واخشوشنت خلايا البدن والذهن. إنه اصطياد خواطر المرحوم وحبه للطموحات الرشيدة وبغضه للطموح الأخرق، ومعارفه عن الفرق بين تمني النجاح والتخطيط لبلوغه، وقدرته على الاستعانة بالله لتجنب الفشل. هذه الأوراق أرجو أن تكون مشعلاً يضيء للجميع ومضات قليلة، قد تساعد البعض في وضع خطط ناجحة لحياتهم. يخطئ من يظن أن المستقبل هو تكرار للماضي أو امتداد بسيط له، ويخطئ أيضاً من يجحد دور تجارب الماضي في رسم الطريق للمراحل التالية، أو يظن أن خطط المستقبل يمكن وضعها بمعزل عن أحوال الماضي وعظاته.

أود بعد هذا أن أشير أن المصدر الرئيس لهذا المكتوب هو أحاديث والدي، التي سمعتها منه في مجالسه سواء المفتوحة للكثير، أو العائلية أو ما خصني به من جلسات

في السنين الأخيرة من عمره، وما نقلته عن بعض دفاتره الشخصية وأوراقه الخاصة، وسأوضح في بعض مراحل السيرة جوانب ذلك. ولابد من التنويه أن بعض ما دونته قد سمعته من الجالسين معه، مما قد لا يتفق مع مرئياته وإنما يعبر عن فكر بعض المجالسين، والقارئ الفطن سيلاحظ هذا بجلاء في صلب السيرة. والأمثلة على ذلك كثيرة نسرد هنا بعضها، فمما قال أحدهم أن سبب قوة الأمير سعود بن عبد العزيز هو أن جده لأمه هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي منحه لقب إمام وأمير، خلافاً لوالده الذي كان أميراً فقط، وأوضح لي والدي في السنين الأخيرة أن عبدالعزيز بن محمد بن سعود قد تزوج إحدى بنات الشيخ، ومن غير المؤكد أنها والدة سعود، إنما قد تكون ابنة المعمر. كما شكك والدي فيما ذكره أحد المجالسين أن الإمام سعود كان يفتل شواربه الطويلة للأعلى مخالفاً السنة، وسموه "أبو شوارب" وربما أن أحد مرافقيه من بدو الشمال كان كذلك، وأختلط الأمر في النقل البصري أو الشفوي. مسألة طبائع الاستبداد والكواكبي وميكيافيلي وجماعة "ايطاليا الفتية" التي حازت اهتمامه في سن الخامسة عشرة، تخص تلك المرحلة فقط (السلطان عبد الحميد الثاني) ومن المهم عدم إسقاطها على مراحل أخرى، ولابد من تفادي لبس الأمور مع بعضها، وسيسرني أن أجيب الأحبة عن أي استفسار. كما أود منهم ملاحظة ما نقله والدي ومجالسيه عن أسلافهم من أقوال، يلزم حيالها تمييز ماهو "وجهة نظر" أو "حقيقة مؤكدة"، وبدون ذلك قد نقع في إشكالات عديدة، حيث إن الحقيقة واحدة قد لا يدركها الجميع، أما الآراء فهي نظرة تتغير من شخص لآخر وحسب تبدل الزمان والمكان والمنفعة. كما أشير أن أحاديث المجالس ليس بها سوى نزر يسير من الحقائق المؤكدة، وجلها آراء شخصية عرضة للتبدل، كما أن تناثرها وتنافرها هو ما قد تسبب في تباين بعض المسميات أو الأحداث الواردة هنا. إن من يريد الوصول إلى حقائق دامغة لما جرى أثناء حياة والدي، مدة القرن الرابع عشر الهجري فعليه البحث في مصادر أخرى، أما هذا المكتوب فهو فقط لاستخلاص العبرة ممن لديه اللب لذلك. يقودني هذا لوجوب الإشارة لما صدمني به بعض الأحبة، ممن شاركوا في مراجعة وطباعة مسودة هذه السيرة، حيث وجدوا خلاف ما ورد في بعض المصادر الأخرى مع ما

ورد هنا، وأشاروا علي بالتعديل، ولكني رفضت. لم أرغب أن ألوث ما سمعته من والدي ومجالسيه بالنقل من مصادر أخرى، حتى وإن تعارض مع بعضه البعض أو مع مصادر يزعم البعض أنها موثوقة، لذا سيخطئ كل من يظن أن هذا المكتوب هو دراسة أكاديمية محكمة، تشبه ما يقدم لنيل درجة علمية تؤهل لوظيفة حكومية. هذا المكتوب هو سجل لما كانوا يعرفون وما يجهلون، ولم أر في مجلس والدي من يطلب المصادر، بل يكتفي بالتشكيك في الرواية. لذا فإن الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة، أو أبيات الشعر كلها ترد هنا على أساس معناها الإجمالي، والقصد استخلاص العبرة فقط، ومن يرغب منكم يا أحبتي في التأكد من الآية ونصها القرآني وما السورة التي وردت فيها وهل هي مكية أو مدنية والتأويلات المختلفة لتفسيرها، فأرجو من الحبيب أن يمد يده لجيبه ويخرج هاتفه الصغير، ويتجه للشبكة الدولية للمعلومات وسيجد كل ذلك، أما هذا المكتوب فلعله يجد فيه ما ليس موجوداً في مكان آخر وهو "العبرة" فقط، ومن حق الجميع أن يقبلوا أو يرفضوا ما يشاءون. للتدليل على ما صدمني من إشارات هي مسألة التاريخ، فإن محرر هذه السيرة ووالده ليسوا من محترفي التاريخ ولا حتى هواته، ولكن من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين رأس كل العلوم، ثم من لا يدرك ملامح تاريخ أهله لديه مشكلة. قرية الحريق التي ولد فيها صاحب هذه السيرة لها دور لا يعرفه غالبية السعوديين، وقد أوضح الملك عبدالعزيز ثم ذريته من بعده (الملك فيصل وغيره) إن عامي 1327هـ والذي تلاه كانا، أصعب فترة في مراحل تأسيس الوطن، حيث نقض آل رشيد عهدهم ثم خطف الشريف شقيقه الوحيد من القويعية وسجنه في مكة، وفرض حاكم الإحساء التركي مقاطعة تجارية ضده، ودعم ابن صباح البادية المناوئين له وأساء إليه آل ثاني ومن يتكلمون بالصداقة ويعملون بالعداوة. لكن الطامة الكبرى حدثت في الحريق حين انشق عليه بنو عمه واتخذوا منها مقر إمارتهم المنفصلة، وبدعم قوي من كل المخالفين سابقاً، ومع هذا فلم تحظ تلك الفترة بسجل تاريخي جيد. لقد ذكرت بعض المصادر أن الملك قاتل فيها مرة واحدة والصحيح أنها مرتين، بل إن الريحاني الذي جلس مع رجال الديوان، ذكر أن حرب الحريق كانت عام 1330 هـ في الطبعات الأولى لكتابه، وتنبه الزركلي لهذا

وقال إن أسر الأمير سعد كان عام1328 هـ وسجلات ديوان الشريف حيث كان يعمل تبين أن بنو العم قد ساعدوا الشريف في معركة "رجال المع" عامي 29 و30بعد هربهم من الحريق، لذلك رفض مقولة أن الملك كان يناضل في الحريق عام 30، وبرغم ذلك ففي الفصل التالي عاد ونقل خطاءً عن الريحاني أنه كان هناك عام 30. هذه التناقضات في أمهات مصادر التاريخ السعودي، تثير عدد من علامات الاستفهام حول ما كتبه من لم يحضروا تلك الأحداث، وإنما نقلوا عن أشخاص هم أيضا لم يحضروها، أما ما أوردته هنا فهو شهادة العالم الحاضر، سواء قبلها القابلون أو رفضها الآخرون. مثال آخر على الارتباك السردي للتاريخ، وخلط الأماكن والأزمنة والأشخاص، هو ما ورد في كتاب نشره أستاذ مدرسي التاريخ في بلادنا البروفيسور (العثيمين) عن أن الأمير تركي بن عبدالله قد غادر الحريق إلى الإحساء وقتل هناك عام 1330هـ، ويشهد محرر هذه السيرة، أن الأمير تركي رحمه الله كان في مكة حياً حتى بعد نصف قرن من ذلك التاريخ الغير صحيح. مسألة أخرى هي أول معارك الملك مع ابن رشيد، التي جرت في الدلم على مسافة قريبة شرق الحريق، حيث ذكرت كافة مصادر التاريخ أنها جرت في ربيع الثاني 1320 هـ، بينما قال والدي أنه غادر الدلم مطلع رجب، واحتراماً لأمانة النقل الشفوي فقد أبقيت ما قاله لي أبي، رغم تعارضه مع المصادر الأكاديمية الموثقة، ويقبله من يقبل ويرفضه من يرفض، أما أنا فأثق في صحة رواية من حضر مقابل من ينقل عمن لا يعرف، ثم بمرور الأيام تغدو الأخطاء التاريخية حقائق موثقة أكاديمياً. يعرف أحبتي الذين وضعت هذا المكتوب لهم أن دراستي في الاقتصاد الصناعي، ولا علاقة لي بدراسة التاريخ، وهذه السيرة لا علاقة لها بأكاديميات التاريخ، ولا تمت بصلة قريبة أو بعيدة لعلم الأنساب والقبائل، التي كان والدي يكرر في مجالسه دوماً أن الناس [المؤمنون] أمناء على أنسابهم. وينسحب الأمر نفسه على المناصب الوظيفية أو الأبيات الشعرية الواردة في السيرة، والتي لا تتطابق مع دواوين الشعراء، فقد كان صاحب السيرة مولعاً بالتصرف في الشعر وتعديله ليناسب المجلس، بغض النظر عما ورد في الديوان أو ترتيب الأبيات،

وهل رأيتم أحداً في مجلسه يستشهد بالشعر نقلا من ديوان؟ إن ذلك يحدث فقط في الأكاديميات وليس في مكتوب الأحبة. وكل من لديه تصحيح فليتفضل بتزويدنا به إذا كان بشهادة من حضر، أما غير ذلك فلنا أقوالنا ولكم أقوالكم سلام عليكم ورحمة الله.

سبقت الإشارة أن السبب الرئيس لتحرير هذا المكتوب هو توفير آلية مبسطة لذرية عبد الله بن خثلان، لاستخلاص العبر والعظات من سيرة سلفهم، وهناك سبب ثانوي وهو التعريف بالشخص، لمن يحملوا اسمه ولم يروه أو يعرفوا بعض جوانب حياته خلال القرن الماضي. حدث أيضاً قبل سنوات أن أحد أعضاء مجلس الشورى الأفاضل، قد كتب في الشرق الأوسط عن رجال ممن ساهموا في بعض مراحل تأسيس المملكة، واقترح أن يكتب عنهم بعض التفاصيل، وذكر من بينهم صاحب هذه السيرة، الذي توجد نبذ عنه في بعض المطبوعات وفي الشبكة الدولية للمعلومات (النت) وفي الجريدة الرسمية (أم القرى) ذكْرٌ له بداية من عام 1348هـ. كما أن أمانة العاصمة قامت مشكورة بتكريم قادتها في ذكرى مرور مائة سنة على إنشائها، وفي نبذة عن بعض الأمناء نشرت في إحدى الصحف، وردت معلومات غير دقيقة عن صاحب هذه السيرة، وساءني أن بعض أحفاده تناقلوها بينهم على أنها الحقيقة، وبخاصة ما يتعلق بمسقط رأسه ونشأته وخبرته، لذا باشرت في إعادة ترتيب المسودات السابقة. وها أنا أقدم للأحبة الجزء الأول من السيرة، الذي استغرق إخراجه عدة سنوات، نظراً للانشغال في الأعمال الخاصة، أسأله عز جلاله أن يفسح لنا في العمر لإكمال بقية الأجزاء، وأن يجعل أعمالنا جميعاً خالصة لوجهه.

بعد هذا أود الإشارة للأحبة عن كيفية سرد وتحرير هذه السيرة، وبما يوفر لهم سهولة استخلاص العبر والعظات منها، حيث نروم أن نفهم أنفسنا وأسلافنا وندرك واقعنا ثم نخطط لمستقبلنا، بعد أن نعرف نقاط قوتنا وضعفنا والسبل الصحيحة لإدراك النجاح. لذا فقد ركنت إلى السرد حسب التسلسل التاريخي قدر الإمكان، إلا أنني في بعض المواقع رأيت أن التتابع الزمني (كرونولوجي) الرتيب لا يؤدي للسأم فقط، بل قد يؤدي لصعوبة استخراج العبرة، وستلاحظون أنه حيث يوجد انكسار في التسلسل

الزمني توجد فوائد ملموسة للقارئ الحصيف، كما تسهل عملية ربط الأحداث مع بعضها بغض النظر عن التسلسل الزمني. وإجابة لتساؤل بعضكم حول وجود مجاملة في بعض الحالات، والجواب هو نعم ثم نعم، لقد كان والدي يجامل كثيراً من يحضرون مجلسه، ولا يسمح بالعبارات الثقيلة أو المسيئة للحاضر أو الغائب، لذلك يعدل في بعض الروايات ويتصرف في أبيات الشعر، حتى لا يسمع مجالسوه لفظة نابية أو جارحة. وأنبه هنا أن الكثير مما ورد في حديثه عن أسلافه أو أعمامه ورفاقه أثناء الشباب، ثم فترة فتوته في الحريق تحوي كم هائل من المجاملة في الأمور التي ليس بها عبرة كبيرة، وبدون أن يجري طمس الحقائق الأساسية لاستخلاص العظات. أما عند حديثه بشأن ما جرى بين أعمام وأخوال والدته وأثر على حياتها، أو الأحداث المؤلمة له والتي جرت بين أخواله وأعمامه فقد تم إيرادها بقدر جم من المجاملة، والبعد عن التبرع بمعلومات مسيئة حتى وإن كانت فيها عبر عظيمة، أما إخفائها كلياً فهو غير ممكن لأنها لم تطمس من أمهات كتب التاريخ السعودي، وجرت حولها أقاويل مستهزئة يلزم أن ينبري لها المحبون بالإيضاح. لو لم تكن هناك عبرة كبيرة من ذكر قصة الغراب الذي يبحث في الأرض، لما أوردها الله في كتابه الكريم، مثلما أورد بيان المرأة التي غلقت الأبواب على فتاها، وكذلك حادثة ابن نوح وغيرها. هناك قدر كبير من الحذر عند سرد معرفته بأبناء الأمير عبد الله إبن الإمام الجليل العريف المعروف سعود بن فيصل بن تركي (أقارب والدته) سواء في القصيم أو في الحريق ثم في مكة، لقد كانت له علاقة ثرية مع الأمير تركي بن عبد الله وأبنائه، والسرد يحتوي على قدر من التحفظ والتحوط حيث كانوا جيران لبضع سنين في المعابدة وليس كل ما يعلم يقال. ويندرج في الأمر نفسه علاقة أبي مع بعض النافذين في ديوان شريف مكة ، سواء كانوا من الهاشميين أو السادة أو آل أبا نمي (الأشراف) أو العبادلة أو آل عون أو أبناء الحسين الأربعة وغيرهم ، وما يعلمه عنهم وشئون نسائهم وجواريهم ، فقد كان يتكتم على ذلك رغم إلحاح البعض عليه للإفصاح ، ويدخل في ذلك علاقته الخاصة مع نائب الملك في الحجاز (فيصل) وما قد جرى حوله سواء من الأمراء أو كبار أهل مكة ، وجرى التكتم عليها رغم ما فيها من عبر جليلة ، ولكن

السلبيات أكثر لذلك آثر الصمت حيال معظمها ، ثم جئت كمحرر غير مختص وتحسست من بعضها ولم أدرجه هنا . لقد كان يرى أن عمله في اللجنة (هيئة) التنفيذية لتوسعة الحرم المكي، هو خيرة ما قام به، ولم يتقاض عليه مرتب ويحتسب جهده ووقته وصحته في ذلك عند الله، وما سنوضحه في السيرة هو نزر يسير من تجاربه في تلك المرحلة، والصعوبات التي واجهها آنذاك سواء مع مقاول الإنشاء، أو جهات حكومية أخرى خلاف البلدية، أو مع الأهالي وذوي المصالح المالية أو العقارية، وبخاصة عند صرف التعويضات الهائلة للأملاك المنزوعة للتوسعة، ولهذا لم نذكر الكثير عنها هنا. أود أن اطمئن الأحبة أن بعض ما عرفته ولم أدرجه هنا وهو ليس قليل، سيبقى محفوظاً ليتولي الجيل اللاحق بيانه في الوقت الملائم. ثم قد يتساءل بعضكم عما إذا كان المحرر له مساهمة في بعض النصوص، والجواب هو نعم فقد أضفت من عندي الكثير من الجمل والعبارات والفقرات، التي لم أسمعها في مجلسه ورأيت أن إدراجها يسهل على القراء استخلاص العظة والعبرة، ويمكن لمن لديه قدر من الفطنة ملاحظة ذلك بسهولة من السياق.

حاولت عند صياغة السيرة جعل العبارات متلائمة مع القرن الحادي والعشرين، مع تجنب الإخلال الشديد بمنطوق المجلس عن الأحداث في القرن السابق، وبما يتلافى إرباك القارئ، مع أهمية التنبه لإشكالية العبارات المضطربة، أو بعض الكلمات المتقاربة وتعطي نفس المعنى أو معنى مخالف، مثل الفرق بين رجال الدولة ورجاجيل الشيوخ، أو الشاي والشاهي والمخيم والمخيام والتفك والتفق والفشك! وغيرها من عبارات في اللهجة المحلية، سواء في الحريق أو مكة ومصر، مما لا يصعب على الأحبة إدراكه وبدون اللجوء لكتابة إيضاح في الهوامش، يلوث عملية نقل أحاديث المجلس العفوية، ويصبغ المكتوب بشكل أو طابع أكاديمي ممل، يجعله شبيه ببحوث التاريخ المحكمة، أو تلك المكتوبة لغرض مالي أو لقصد شخصي بحت. وهنا يلزم علي الإشارة لاحتمال حدوث خطاء مني في الاستماع أو القراءة أو الكتابة، والارتباك غير المقصود لدي في ذلك، سواء بخلط المفاهيم أو الالتباس المعرفي، وآمل من

الأحبة تنبيهي مشكورين لما يرونه، ليتم تلافيه عند إخراج النص النهائي للسيرة، وتلزم الإشارة أن أكثر من عشرة أشخاص ساهموا في أعمال النسخ الالكتروني، كلهم غير سعوديين وبعضهم ليسوا عرب، وأخطائهم لا تحصى وسنعمل على تلافيها في الطبعة النهائية. كما أود من القراء ألا تصدمهم صياغة النص في هذا المكتوب، الذي نوهنا عدة مرات أنه ليس للتداول ولا للبيع، ولم يقم على كتابته أديب ضليع في اللغة، لذلك فأرجو من الأحبة الصبر على بساطة النص، وتحمل مشاق استيعاب بعض العبارات. ويدخلني هذا للتنويه بأن قراءة النصوص المنقولة عن حديث المجالس، تتطلب النظر فيها بالعين والأذن سوياً، وأتمنى من الجميع أن يدركوا استحالة تحويل مناقشات شفوية، إلى نص أدبي بارع في ترابطه وسلاسة عباراته، وعسى أن يتمكنوا من تحمل غموض بعض الفقرات، التي تناسب الاستماع وليس النظر، وما قد يجدوه في بعضها من تقطع أو تداخل. كلمة أوجهها لمن تصادف اطلاعه على أجزاء من هذه الكتابة الخاصة بالأحبة، والتي لا يجوز للغير مطالعتها، فإني أناشده ألا يكون متطفلا على أمور الآخرين وأن يعيدها إلى حيث جاءته. إلا إذا كان ممن لديهم بغض للقوم ويحمل لهم الضغينة والحقد، ويكره صاحب السيرة وأهله ومعارفه وأرضهم وأحوالهم وطباعهم، وكل ذرة تراب مشوا عليها وكل نسمة هواء استنشقوها، وجميع ما كانوا يعملون أو يقولون وما يلبسون وما يأكلون، وأساليبهم في عبادة خالقهم والدفاع عن ديارهم وأموالهم وكرامتهم من الغزاة أو الطغاة، وما لديهم من روح للكفاح المجيد ورفض للانهزام ومقاومة اليأس وبعث الأمل ورعاية الطموح الرشيد. لا نقول لذاك إلا أنه يؤسفنا وقوع هذا المكتوب بين يديه وأمام ناظريه، ونناشده ألا يكون حاقداً مع تطفله، وحبذا لو يتحفنا بما لديه من عبر وعظات وأنباء عن أسلافه، حتى نستفيد بما هو صالح منها ونترك الزبد يذهب جفاء.

أحد الأحبة قال لي لماذا كل هذه السيرة، فما دام القصد هو العبرة ألا يمكن أن تكتبها لنا في ورقة واحدة موجزة؟ ولولا إعزازي له لوصمته بأنه أخرق (لا يعرف ويعتقد أنه يعرف)، لكني أشرت عليه أن يخرج جواله وينزل من الشبكة النصائح والمواعظ

وهي كثيرة جداً. وألمحت أن مسألة الاقتراض شائعة فيها، فالبعض ينصح بعدم الاقتراض قطعياً وآخر يشجع عليه حتى النخاع، ولا تدري أيهم على صواب، والحقيقة أنك لو عرفت سيرة وتجارب كل منهم، ودرست أحواله بدقة لعرفت أن كلا منهما على صواب، في ظل اختلاف الأشخاص والأماكن والأزمنة، لذا يا أحبتي عليكم استخراج العبر من السيرة وليس من الإملاء، ومن يتكاسل عن ذلك فلن يتحسن فكره قيد أنملة عما هو عليه من بساطة.

في الختام أرجو أن يشاركني الكل في الدعاء إلى الله أن يتغمد كبيرنا بمغفرته ورحمته، وأن يوسع له في قبره ويعتقنا وإياه من جهنم ويجمعنا به في الفردوس، وأن يسبغ علينا وإياه عفوه ورضوانه. كما أدعوه تعالى أن يجعل في هذا المكتوب "الإخلاص والموافقة" فقد كان يوصيني دوماً أن أجعل عملي خالصاً لوجهه بعيدا عن التربح والتعالي والرياء، وان تكون أعمالي موافقة لكتاب الله وسنة نبيه. كما أرجوه سبحانه أن يجعل هذه السيرة شعلة تضيء درب الأحبة، وتنير لهم سبيل الرشاد وتعينهم على تلمس طرق النجاح في الدنيا والآخرة، وتعين على التدبر في أحوال الخلق، ويسمعوا فيها صوت إدراك العبر والعظات السليمة. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والسلام على خاتم النبيين.

ملخص سيـــــــــرة السلف:

نزولا عند رغبة بعض القرابة والمحبين، قمت بنقل بعض أجزاء من صلب سيرة المرحوم، لرغبتهم معرفة ما كانت عليه أحوال قدماء أسرته، مما قد يساعد في فهم طبيعة، وظروف الزمان، والمكان، والناس. وانتقيت مما سرده على من أحوال أسلافه، ما ظننت انه سيعاون الأحبة القراء، في استيعاب تعقيدات النشأة في ظلال تلك الوقائع، التي قدرت انها ستبين للبعض تأثير الماضي على الحاضر، ولو بشكل محدود لكنه يكفي لتسهيل استخلاص العبر. ان المصدر الرئيس لهذا القسم هو ما سرده العم زيد لوالدي، وهو مشتق من أحاديث جده علي بن حمد، الذي كان كاتباً مجيداً حفظ الكثير عن جده راشد بن خثلان وأسلافه. والعم زيد بن عبدالله أديب عارف يحسن التدوين والحفظ، وقام برحلات كثيرة في أرجاء جزيرة العرب، من مسقط للزبير ومكة المكرمة وزنجبار اليمن. وامتدت أسفاره لخارج البلاد نحو الشام ومصر والهند، لأغراض التجارة وطلب المعارف الدينية والزراعية والحيوانية والانشائية والعلاجية. وفقه الله للنجاح في معظم شؤونه أما الذرية فلم يهبه المولى، ومع كرمه وكثرة انفاقه على الخير، إلا ان خالقه رزقه ثروة وافرة، كان ينفق الكثير منها على قرابته. وحقق دخل جيد استثمره في شراء أراضي بور يستصلحها، ثم يبيع بعضها ويهب البعض الآخر للمعوزين، بخاصة عمال الحلة الذين ينهكهم سادتهم بالأعمال الشاقة والمؤذية، وبعد عجزهم يتخلون عن رعايتهم، فيتكفل هو بهم لتوفير الغذاء والكساء والدواء والإيواء، فكان محبوبا من تلك الفئة.

العم زيد بن عبدالله هو المصدر الأساس لسيرة السلف، حيث حفظ ما أخبره جده علي بن حمد بن راشد، علماً انه كان غير متأكد من دقة أنباء ما قبل الجد راشد، ولا حتى من أسماء أسلافه. لكن بعض الأنباء عن أحداث هامة تواترت، عن حياة القدماء مما يميل للثقة فيها، رغم انه يحبذ السرد المنقول عمن يعرفون من عرفهم. ما ردده بعض أفراد الأسرة عن أجداد مثل عقيل وسهل وحماد وفيحان، سرده لوالدي رحمهما الله، لكنه غير واثق من تسلسل الأجداد قبل راشد. أما حادثة مشاركة الجد خثلان في صد الصليبية (البكيرك) فهي ثابتة عنده، رغم عدم

تأكده من صحة الاسم الفعلي لخثلان، وما إذا كان سعد بن حماد الجبري من بلدة نعام، أو انه عمر بن علي الجبري من حائر سبيع.

كما هو حال بقية الأجزاء فلم نسرد الأحداث على نمط تاريخي متسلسل (كرونولوجي) لتفادي الملل، بل عمدنا للتركيز على كتلة الحدث، ومحاولة استخلاص العبرة منه. ستجدون أيها الأحبة في الخمسة عشر فصل التي يحتويها هذا الجزء، أحداث عايشها العم زيد وجده علي، وهي تمثل نحو تسعة أعشار السرد، وأما ما سبق حياتهما فهو أما منقول من أقوال جد الجد، أو من أنباء قديمة بلغت ثلاثتهم، سواء من معلومات السلف أو من المصادر التاريخية العامة، والتي كان والدي يشكك في بعضها، بخاصة المخطوطات الأندلسية العتيقة المضطربة. لقد سمعت في مجالس والدي خلال سبعينات وثمانينات القرن 13هـ، كثير من البيانات المتعارضة مع بعضها، بخاصة مع توسع البعثات لخارج البلاد لدراسة التاريخ، ومحاولات تنقيح المخطوطات التاريخية القديمة. وينتهي هذا الجزء عند مولد صاحب السيرة رحمه الله، حيث ننتقل بعدها للجزء الذي يرتبط مباشرة بوالدي وما عايشه هو، أو ما سرده عليه والده ووالدته وبعض القرابة والجيران.

الفصل الأول

*ولد صاحب هذه السيرة "عبد الله بن خثلان" رحمه الله في مطلع القرن الرابع عشر، وعاش 94 سنة حتى نهاية القرن، (نحو 1305 – 1399هـ)، وذلك في بلدة الحريق التي تقع جنوب الرياض بما يقارب 160 كم. كانت تلك البلدة تسمى "حريق نعام" في البداية، حيث تأسست قبل أربعة قرون كضاحية شمال غرب المدينة القديمة الواقعة على وادي النعام، وكانت قبل الإسلام وحتى خمسة قرون سابقة في رخاء كبير، وهي من أقدم ديار ربيعة بن عامر بن صعصعة من مضر، وفيها قبيلة سبيع الذين ينحدرون من جعدة بن كعب من هوازن، ويمتد نفوذهم من الرمحية شمالاً إلى حائر سبيع (قرب الرياض) ثم جنوبها في الدلم، وحتى بلاد الأفلاج عند مدينة ليلى العامرية. ثم جاءهم شريف مكة وحدثت فتن متلاحقة سببت إنشاء الضاحية، وذلك في أرض خصبة بها أشجار، تبعد عن نعام مسافة قليلة (12كم) وأحرقت الأشجار وأقيمت البلدة هناك. نشأ المرحوم في مزرعة جده (عبد الله بن علي بن حمد بن خثلان الجبري السبيعي) وسط أعمامه وأخواله "الدحاملة" وأخوال أبيه "الكثران" وأخوال أمه

"الهزازنة"، في "البديعة" ذات المسمى الموافق للاسم، وفي بحبوحة من العيش. رغم ما كانت المنطقة تعانيه في بعض السنين من قحط يؤثر على الجميع، إلا أن البديعة استمرت عامرة بالخيرات وتوفر الحد الأدنى حتى في سنين المجاعة. كان أهله حريصون على تغذيته جسمياً وخلقياً وفكرياً، فشب بفضل الله قوى البنية عالي الخلق لا يماشي إلا خيار أهل بلدته، كما اختاروا له أفضل كتاتيب القرية ذات المصاريف العالية لتلقي العلم. كانت أولى العلوم وذروة سنامها هو التفقه في الدين ثم معرفة الحساب وشيء من الآداب الشعرية والنثرية والتاريخ. وبناءا على رغبة بعض الأحبة لإضافة أجزاء من نص السيرة إلى الملخص توضح عناصر المكان والزمان والناس لسهولة الاستيعاب عبر القرون الماضية، فسوف نسرد هنا شيئاً من ذلك.

حريق نعام يقع في وسط جزيرة العرب وهو جزء من إقليم نجد الذي يشمل اليمامة (العارض) ومناطق أخرى، يحدها غربا وادي الفُرع وهو جمع الفُرعة، بضم الفاء وسمي كذلك لما يقال عن كثرة فروعه وتشعباته، وهو أحد أهم أربعة أودية في اليمامة (مع حنيفة وبرك ونساح) وفي سنين الرخاء تسير الوديان لعدة أسابيع متجهة صوب الجنوب الشرقي، وقد تصل إلى خليج سلوى. ونظراً لحداثة إنشاء الحريق فسوف نركز في المراحل الأولى على نعام الذي تأسست الحريق كضاحية (نجع) له في أواخر القرن العاشر الهجري وكذلك قاعدة الإقليم (اليمامة) ووادیها، الذي تتوفر المياه فيه حتى عند قلة المطر. حيث يقع "الفُرع" ضمن منطقة الرف العربي المتكونة من أحجار ليمونية (جيرية) تمتص الرطوبة من الهواء، وتخزنها في جوف التربة وتغذي آبار المنطقة، على عكس غربها حيث يتكون الدرع العربي من تلال وجبال بركانية وبازلتية لا تمتص الرطوبة. وإضافة لذلك توجد كثبان رملية في بعض أرجاء اليمامة تبتلع الأمطار وتخزنها أسفلها، كما أن تكوين الساق الغزير الممتد من شمال جزيرة العرب، متجها صوب مسقط يحمل كميات وافرة من المياه على عمق متفاوت. ويمر اليمامة مغذياً آبارها، حتى أنه يسيح على وجه الأرض في الخرج والأفلاج أثناء سنوات المطر الغزير. إن توفر المياه (نسبياً) صاحبه خصوبة في التربة، حيث تتمتع السفوح الشرقية والغربية لجبال طويق، التي تعترض القادم من الحجاز نحو اليمامة، بمصدر جيد لعناصر تحسين التربة. أما شرق اليمامة فتحده تلال "العرُمة" الممتدة من العتش شمالاً حتى التوضحية شرق الخرج (ألبان المراعي حاليا) ذات الوديان الخصبة، وعند هطول الأمطار على تلك التلال تجرف السيول كثير من الطمي المشبع بالمخصبات. ولابد أن أكثر الأحبة لاحظوا القمم المدببة لبعض المرتفعات

الصغيرة، مع تراكم كثير من الحجارة أسفلها جراء تأثير الرياح والأمطار عليها، وما أبلغ وصف ابن كلثوم لها قبل خمسة عشر قرناً حين أنشد: -

فأعرضت اليمامة واشمخرت --------- كأسياف بأيدي مصـلتينا

يكون ثقالها شرقـــي نـــــجد --------- ولهوتها قضاعة أجمعينا

ولابد أن الأحبة قد لاحظوا عند قدومهم من الطائف للرياض سلسلة تلال طويق وهي تعترض الطريق شامخة مليئة بالصدوع، كأنها السيوف المصلتة وقد تفتت من أعلى بفعل امتصاصها للرطوبة، وأسفلها أكوام الحصى الخصبة. وإضافة لتوفر المياه وطيب التربة فإن اليمامة تتميز باعتدال الهواء. ورغم المزايا الهائلة لجنوب العراق حيث يلتقي دجلة والفرات، إلا أن الصحراء غربها قاسية المناخ، حيث من المعتاد أن تتجاوز الحرارة الخمسين مئوية، بينما يندر ذلك في اليمامة. وبالمجمل فإن العارض والقصيم هما أطيب أقاليم وسط جزيرة العرب، وقليلا ما عانت من المجاعة في سنوات القحط، حتى أكل الناس جيف الحمير وجفت الآبار عند انقطاع المطر لثلاث سنوات، كما كان يحدث في إقليم المحمل وجنوب سدير. وهذا ما جعل اليمامة محط أنظار الطامعين منذ أقدم العصور، وسميت على اسم ملكتها القديمة "يمامة بنت جديس" وتعرضت للغزو من عدة جهات أقدمها ما قام به قوم "تُبع اليمانية" زمن العرب البائدة قبل آلاف السنين. وقد أدت تلك المزايا التي حبا الله بها المنطقة، ثم بجهود أهلها وحسن تدبيرهم، لأن يسجل التاريخ أن اليمامة تخرّج (تصدر) الطعام إلى مناطق بعيدة مثل مكة، وأهمها الحبوب والغلال مثل الحنطة والشعير، كما تميزت المنطقة بجودة تمورها، أما اللحوم وبخاصة الضأن فقد أشاد بها القدماء مثل هيرودوت. لقد سمعت في مجلس والدي نقاشات مستفيضة ومتضاربة (خمسينات القرن العشرين) حول فناء العرب البائدة من طسم وجديس وعاد، وظهور العرب المعاصرة في جنوب العارض، والمكونة أساساً من هوازن وحنيفة وتميم ثم قلة متجولة من قحطان، ومتى كان ظهورهم ومن الأسبق؟ اختلفت الآراء حول ما إذا كان ذلك قد حدث قبل ثلاثة أو خمسة قرون من بعثة المصطفى عليه الصلاة والسلام، أو قبل هذا أو إنهم من سلالة البائدين. تحدث أحدهم بالقول إن فناء الأوائل كان قبل أكثر من عشرة قرون من البعثة، وقد كان سبب ذلك رياح عاتية استمرت سنين طويلة مع قلة الأمطار، مما أدى لهلاك البشر والشجر ثم طمرت المباني بالرمال بأمر الله.

وقد امتد ذلك للمنطقة من جنوب غرب العراق (أنبار) حتى وسط جزيرة العرب وشرقها وجنوبها، في اليمامة (عروض) والاحساء ويبرين ومسقط وإرم وحضرموت، فاتسعت نفود الشمال وكثبان الربع الخالي. وقبل إكمال حديثه، سارع أحدهم للقول إن ما يهم هو من أول من سكن جنوب العارض بعد جديس؟ بادر آخر بالقول إن هوازن (صعصعة) هم أول من استوطن المنطقة بعدهم، والدليل هو ما ورد في شعر الجاهلية وقصة المتجردة، التي سكنت الخورنق بعد زواجها من ابن ماء السماء، وقدومها من اليمامة وهي من بني عامر بن صعصعة. كان أبي نادراً ما يقاطع مجالسيه، لكنه فعلها آنذاك وقال إن تلك الأساطير غير ثابتة، وعلى كل حال فتلك المرأة ليست مدعاة للتفاخر، فقد تزوجت ابن زوجها (قابوس) وكانت لها أفعال مشينة مع عدة شبان ونساء! حاول الرجل إيضاح أنه إنما يريد تأكيد الأقدمية، فرد عليه أن ذلك من "أولوية البلهاء" التي لا يركن نحوها سوى من يشعر في نفسه الخزي، وعلى كل حال فمما رجحه أن أول من عاد للسكنى في اليمامة هم بنو حنيفة وليس أحد من مضر الشريفة.

في ذلك الحين كانت أحاديث العارفين تدور حول مسألة الشعر الجاهلي، وكيف أن البعض قد دلسوه لاحقاً بقصد إدخال اللبس على بعض آيات القرآن الكريم، وكان والدي يستنكر إعطاء ذلك الشعر مكانة لا يستحقها، رغم إعجابه بكثير من قصائد عنترة وأمرؤ القيس وطرفة، لكنه يرفض استخدامها لدلالات أخرى. ومن أمثلة ذلك ما ذكر عن هجوم تبع على جديس البائدة في جو اليمامة، حيث رأتهم من بعيد الزرقاء وأنشدت: ---

خذوا حذركم يا قوم ينفعكـــم ------- فليس ما قد أرى بالأمر يحتقر

إنني أرى شجراً من خلفها بشر ----- كيف تجتمع الأشجار والبشـــر

وعاجلوا القوم عند الليل إذا رقدوا ----- ولا تخافوا لهم حرباً وإن كثروا

وقد تحدث بعض جلساء والدي عن تلك المرأة وأنكروا صحة الرواية بينما أكدها البعض قائلين إنها من هوازن (أسلاف بني صعصعة) وكان أبي يرفض التعليق قائلا "الله أعلم". وفي آخر حياته سألته عن ذلك فشكك فيها وأحالني إلى "العقد الفريد" على ما فيه من علل، مبيناً أن عبد ربه قد أدرج فيه قصص منتحلة من ثقافة اليونان وبيزنطة بعد زوال أثينا وروما، ويزينه بقصص عن أهل المشرق تلائم خواطر أمراء الأندلس ليزيدوا جائزته! أما الثابت تاريخياً فهو نهي المصطفى أن يقطع ثمامة ميرة اليمامة عن كفار مكة، أما شمال اليمامة فلم يعرف عنه إلا:

--

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ ------- زغب الحواصل لا ماء ولا شجرُ

غيبت كاسبهم في قعر مظلمة ------ فاغفـــــر عليك سلام الله يا عمر

والحطيئة يشير إلى موقع صنم الثويرات عند طرف طويق الشمالي في شرق الزلفي حالياً، أما جنوب اليمامة من وادي نعام ومجازة برك وجو الخرج فأشاد بها الكثير، مثل قول جرير (تميمي مرات) في قصيدته: -----

انظرا خليلي بأعلى ثرمدا ضحى ---------- والعيس جائلة أغراضها خنف

ياحبذا الخرج بين الدام فالأدمى -------- فالرمث من برقة الروحان فالغرف

وربما أنه يشير إلى الدلم القديمة، أما قصة قيس مجنون ليلى العامرية فتوضح رقة مشاعر بني صعصعة القدماء، والتي فيها إشارات لعدة معالم من ديار بني عامر (سبيع حالياً) في الأفلاج، وكذلك قصة ليلى الأخيلية العامرية في تلك الصياهد، ولا يغيب عن معارف أحبتي الشعر اللطيف مثل: ----

أمر على الديار ديار ليلى ------- أقبل ذا الجدار وذا الجدار

وما حب الديار شغفن قلبي ----- ولكن حب من سكن الديار

وغيره من قصائد الحب العذري العفيف، مثل قصائد عروة القحطاني حينما خطب بنت عمه فوافق، بشرط أن يسافر لإحضار المهر، ولما عاد وجده قد زوجها من ثري أخذها لمنازله في الحجاز، فبث وجده منشداً: ---

ألا حبذا من حب عفراء ملتقى ----- نعـــام وبرك حيث يلتقيانِ

وإني لأهوى الحشر إذ قيل إنني --- وعفراء يوم الحشر ملتقيان

جعلت لعراف اليمامة حكمه ---- وعراف حَجرٍ إن هما شفياني

فيا عمُ يا ذا الغدر لا زلت مبتلى ---- حليفـــاً لهم لازم وهوان

غدرت وكان الغدر منك سجية ---- فألزمت قلبـــي دائم الخفقان

ومن المعلوم أن وادي نعام حيث مسقط رأس صاحب هذه السيرة يلتقي مع برك حينما يبلغ وادي الفُرع المجازة، في منطقة جميلة كانت بها أشجار وارفة، وتقع حالياً بجوار بلدة الحلوة

جنوب الحوطة قليلا. ومثل هذه الأشعار الرقيقة عن تلك الأرض، تلطف قليلا مما جرى فيها من عنف وقسوة، فالجميع يعرف أن مسيلمة الكذاب (الحنفي) وسجاح، قد قاتلوا الصحابة حفظة القرآن زمن الصديق في اليمامة، بدعوى نبوتهم الكاذبة مما دفع الفاروق للحث على تدوين المصحف. وبعد أن قتل عثمان في فتنة الدار، تولى الخلافة علي الذي تنازع مع معاوية رضي الله عنهم أجمعين، وبعد قضية التحكيم خرج بعض أشياع علي ضده وكفروه لأنه قبل حكم البشر ورفض حكم الله! ثم أرسلوا ابن ملجم لقتله. لقد أصاب اليمامة شر عظيم من الخوارج، الذين انقلبوا على بعضهم وكفروا جماعتهم ثم انقسموا إلى فرق عديدة، كان أقلها ضرراً الإباضية نسبة إلى إباض التميمي، وأوسطها الأزارقة (نافع) وأشدها خبثاً الحرورية، الذين سبتهم السيدة عائشة وابن عباس حيث يكفرون عامة أهل القبلة ويستحلون دمائهم. لقد كانت مواقع الخوارج حول الكوفة، لكن أهل العراق تبرءوا منهم، وأحالوهم إلى اليمامة وبخاصة بعد أن تولى قيادة الحروريين نجدة الحنفي الزنديق، الذي نقل مقر عملياته جنوباً نحو محازة اليمامة (الحلوة) وهو من بني حنيفة واتخذ المنطقة (نعام وبرك) وكراً لشن هجماته اللصوصية الغادرة ضد الحجاج والمسافرين من عامة المسلمين، وأعمل فيهم القتل والنهب عليه من الله ما يستحق، ومن المخزي قيام البعض حاليا بتلميع سيرة ذلك المجرم. ولا ننكر أن بعض الخوارج كانوا من أهل اليمامة وليسوا كلهم، ولقد أصاب المنطقة رعب شديد من إساءة الخوارج للمسلمين، رغم ما جلبته أسلابهم من ثروة (حرام) أنعشت أحوال بعض السكان المالية. حيث كان الخوارج يؤذون الناس بالتطرف والتزمت، ويعملون على إلزامهم بأمور شكلية مثل زيادة أو نقص شعر الوجه أو اللباس ومظاهر أخرى مختلف عليها، بينما يهملون آداب الإسلام وحسن تعامله، ويتحدثون بفظاظة وغلظة منهي عنها. وعندما أعمل بنو أمية سيوفهم في رقاب الخوارج، كسر الله شوكتهم حيث قام ابن أبيه والحجاج والمهلب بدحرهم، وصد هجماتهم على العراق وطرق الحج انطلاقاً من قواعدهم في اليمامة. وعند أواخر القرن الهجري الأول عمد حكام بني مروان على إشغالهم بالغزوات، مثل الصائفة في بلاد الروم (مسلمة) أو نحو غرب الصين وجنوب الروس (الثقفي) وكذلك (عقبة) في بلاد الأطلس والأندلس. إلا أنه قبل منتصف القرن الثاني كانت دولة بني أمية قد ترنحت من الضغوط عليها وبدأت دولة الهاشميين تسيطر، إلا أن النزاع بين ذرية العباس وأبو طالب (عمي المصطفى) قد أوقد الفتن في الشام ثم العراق مما أثر سلباً على العارض، وفي نهاية القرن جاء بعض الطالبيون لليمامة هرباً من عساكر بني العباس. وأسس بعدها بعض ذرية الحسن دولة لهم في المنطقة مع الالتزام بالسكون وعدم إثارة حفيظة الخليفة في بغداد، وتمكنت السلطة الأخيضرية من إضفاء الهدوء على المكان وتأمين السبل، ورغم سلبياتهم العديدة

فقد حظي الأهالي بفرصة للانتباه لتجارتهم ومزارعهم وأنعامهم. لكن ذلك لم يستطل حيث في منتصف القرن الثالث قُتل المتوكل، وسيطر الديلم ثم البويهيون على بغداد واستقل الحمدانيون والطولونيون والأخشيديون والأغالبة في أطراف متفرقة. مما أتاح المجال لمن هم أشد كفراً ونفاقاً وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله، لأن يعودوا للفساد وإيذاء العباد، وعادت اليمامة لحقبة الشر بعد أن زاد على سكانها من القبائل الثلاث (هوازن وتميم وحنيفة) مستوطنين من قحطان الواسعة. حيث في أثناء ذلك جرت حركة الزنج جنوب البصرة، يقودها عبد قيسي ادعى لاحقاً أنه من ذرية علي بن الحسين بن فاطمة (زين العابدين) ونشر الرعب في البلاد. ثم هرب إلى الحسا والبحرين، عندما طارده عساكر الترك في بغداد، فوجد من بعض أهل اليمامة من يتبعون كل زاعق وناعق، وقد سمعت والدي يحادث جلسائه أن ما عمله الزنوج والفراتيون قد جلب أموال طائلة للخرج والفرع (حرام) لكنها لم تستمر سوى ربع قرن. إلا أنها خلقت نزعة الغيظ والسخط في قلوب العرب من تصرفات الشعوبيين القادمون من وسط آسيا وقد أسلموا خوفاً أو طمعاً، ويبغضون العروبة ويتركون العرب للمهن الوضيعة فقط. إلا أن تلك الفترة القصيرة كانت توطئة لحركات تمرد خطيرة، وانحرف بعضها عن الجادة الحسنة، حيث زادت اللصوصية والعصيان ضد ديلم بغداد المسيطرون على الخليفة المغلوب. لكن الطامة الكبرى جاءت في مطلع القرن الرابع، حينما استفحل أمر الفرق الباطنية الخبيثة، والتي بدأت صغيرة بعد مقتل الحسين في كربلاء، وهم يدعون أنهم يحبون أهل البيت ويريدون الثأر لهم، وقد كانوا في البداية خوارج (المختار الثقفي) وعصابته الذين سموا أنفسهم التوابين، ثم تكاثرت تلك الجماعات خلال قرنين، وبخاصة بعد إسماعيل وموسى أبناء جعفر بن محمد (لقبوه الصادق) اللذان قيل عنهما الكثير من الكلام (مستتر ومكتوم ولا يموت) وقدسهما البعض لأنهما من حفدة الحسين، رغم أنهما مجهولين! ومع ضعف الدولة العباسية انتشرت فرق الباطنية، وأعلنت عن نفسها بعد الخروج من السرية، مدعية أنها محبة لآل النبي، ولكن ما يظهرونه عكس ما "يبطنون" من بغض لأهل البيت وكافة أهل القبلة. وهم جماعات عديدة مثل المستعلية البهرة والنزارية (الحشاشون) والخرمية والنصيرية والعلوية والدروز، انتشروا في أماكن متفرقة من العراق والشام واليمن وفارس، وقاد أبشع تلك الجماعات آنذاك شخص مجهول الأصل (مجوسي؟) يدعى ابن قرمط، إلا أن أقوى الباطنية وأكثرها دهاء وحنكة نشأت في القيروان (تونس) وسمت نفسها الدولة الفاطمية (العبيدية) زوراً. أقام القرامطة حركتهم في بلاد البحرين التي تشمل آنذاك المناطق من الكويت شمالا حتى مسقط جنوباً بما في ذلك شرق نجد واليمامة، أما مملكة البحرين الحالية فتسمى وقتها أوال أو دلمون. من المزري أن بعض قبائل العارض الأصيلة انضوت

تحت لواء تلك الجماعة، التي اتخذت من جشة القطيف عاصمة لها، وأخذت تنطلق من قاعدتها لممارسة القتل والسلب. مما جلب لمنطقة الخرج والفُرع ثروة جيدة فرح بها البعض، لكنهم سرعان ما اكتشفوا خبث طوية القرامطة الذين بدأوا يغادرون مبادئ الإسلام، وتركوا الصلاة والصيام. بعد ذلك ازداد الوضع سوء حينما باشر القرامطة في إقامة نظام شيوعي لامتلاك وادارة مزارع مشتركة، ثم ساءت الأمور بإباحة الفسوق والزنا. لكن المصيبة الكبرى جاءت عندما قاد أبو طاهر الجنابي وأبو سعيد القرمطي، جحفل ضخم من نجد والحسا نحو مكة المكرمة في موسم الحج، يتكون من عشائر عبدقيس وبنو هلال وكلاب وطابخة. ومنهم الكثير من نسل صعصعة وحنيفة وتميم، الذين انساقوا مع هوجة القرامطة، حيث جلس أحدهما على الصفا وآخر عند المروة يمتحنون الحجاج بالألوهية والربوبية والصفات، ثم يكفرونهم ويقتلونهم عند المطاف وألقوا آلاف الجثث في زمزم. ولم يقف إجرامهم عند ذلك الحد، بل نزعوا كسوة الكعبة وبابها المذهب والميزاب، ثم كسروا الحجر الأسود وأخذوه شرقاً نحو الخرج، حيث بنوا غرفة سموها "كعيبينة" وأمروا الناس بالحج إليها، وتوعدوا من يحج لمكة بالقتل. لكن الأفاضل من أهل اليمامة رفضوا ذلك، وأمروا البغاة بالرحيل مع مسروقاتهم، حيث أقاموا في الجشة نصب وضعوا فيه الحجر الأسود وبقي لم يحج إليه أحد عشرين سنة. في تلك الفترة أصاب البغاة ثراء عظيم من السطو، ولكن الله أنزل على الفرع وجو بلاء من نقص الأموال والأنفس والثمرات شمل الجميع، ورغم أن المنطقة عرفت كثير من الأوبئة والرزايا عبر القرون، إلا أنه في تلك الحقبة أصابت الناس أمراض فتاكة، مثل أبو خريون عند الصغار (ربما جدري مائي) ونصيب النسوة أبو زواع، الذي يؤدي للغثيان ثم الدوار يليه قئ شديد، ربما أنه من جرثومة في المعدة. أما البهائم فقد أصابها جرب لا يعالجه الطلاء بالقطران، كما ابتليت المزروعات بآفات ضارة وديدان وجراد، وكثر تساقط حبات البرد (ثلج) في الربيع مما يكسر سنابل الحنطة ويتلف طلوع التمر. أما الفسقة فأصابتهم أمراض معاشرة البغايا اللاتي جلبن بكثرة للمنطقة من الهند والحبشة، مما أرغم الصالحين والفضلاء على مغادرة البلدة، وترك أملاكهم في رعاية الخدم، حيث توجه البعض للأنبار وآخرون للجزيرة بين دجلة والفرات، أما أسلاف جدي فقد ذهبوا للحجاز عند أقاربهم من صعصعة وهوازن، وأقاموا هناك بجوار أصهارهم من السادة الحسنيين في مكة والطائف، وبقوا هناك ينتظرون انكسار دولة القرامطة. لقد رفض سبكتكين الغزنوي (أفغانستان) صاحب أقوى جيش آنذاك محاربتهم إما لتواطئه معهم، أو لبغضه للعرب (شعوبية) أو تريثاً حتى تضعف شوكتهم، لذا بقي الحج معطلا حتى تضجر منهم حتى حلفائهم (الفاطميون) العبيديون، كما كثر مناوئو فسوقهم في نجد وهجر، ودب الشقاق بينهم، ثم تمكن القيسيون وبني عامر من

تحطيم قوتهم وإن بقيت فلولهم حتى الآن، ولا أظن الفئة الخبيثة التي غررت بجهيمان وزينت له ما فعله بالحرم مطلع القرن الحالي إلا منهم، ومازالوا يدنسون مساجدنا ويخطفون وسائل الإعلام وهم ليسوا إلا من القرامطة. كما أن ما فعله الباطنية العلوية في حماه بعد جهيمان بسنتين، وما يفعله بشار الحمار الآن (1435هـ) في الشام إلا من نتاجهم، كما أن الفكر الباطني مازال يسيطر على بعض مناطق الإسلام حتى اليوم. كنت أرى والدي يتمعض حينما يذكر أحدهم جرائم الخوارج ثم القرامطة في مجلسه، الذي كان ينزه عن الخوض في ذلك لوجود أخلاط من المجالسين، أما في النزهات البرية نحو كبكب ووادي النعمان أو خبوت جنوب الشميسي أو وديان خليص، فقد كان يحدث فيها شيء من المزح والرزح، بين العدد القليل من الإخلاء الحاضرين. حيث كان بعض عتبان الحجاز أو سبعان القصيم يعايرون أهل العارض (اليمامة) ببعض تلك الأحداث المخزية، بل إن بعض معارف والدي منذ زمن الشريف، كانوا يذكرون له أن أسلاف أبيه من رؤوس القرامطة، وأسلاف والدته من الخوارج أتباع نجدة الحنفي، ورد عليهم يوماً أحد الأقارب من الحريق، أن اجداده لأبيه ليسوا من بني هلال مؤيدي القرامطة، بل من جعدة، كما أن أهل والدته ليسوا من حنيفة، بل من جلاسية عنزة الذين ترعرعوا غرب الفرات ولم يدخلوا نجد إلا في القرن السادس، وأن مجازة نجدة ليست في اليمامة لكنها جنوب العراق. وقد سارع أحد الجالسين بالقول إن هلال وجعدة يلتقون في عامر، فتبسم البعض قائلين إذاً فالعرب العاربة والمستعربة يلتقون في سام بن نوح، ولا داع لما جعل الله من شعوب وقبائل ليتعارفوا. ولكن من يفهم ذلك والعامة يخلطون بين هوازن قيس وهزان حنيفة؟ وذات يوم حضر المجلس العام لوالدي أحد معاونيه في البلدية، ومعه تاجر سوداني كبير سمعهم يتحدثون عن اليمامة، فبادر مسرعاً لسب أهلها أصحاب مسيلمة، وخوارج نجدة الذين سماهم النجديون (النجدات) وكذلك القرامطة الفسقة، وهم من فعلوا الجرائم في جنوب العراق ونهبوا المرقد الشريف في المدينة المنورة، وهم من قال فيهم سبحانه بعد ندائهم من وراء الحجرات أن "أكثرهم لا يعقلون" وأرضهم قال عنها المصطفى أنها قرن الشيطان. عند ذاك ساد الوجوم في المجلس، لكن مرافقه وكزه بكوعه فسكت، فقال الرجل أن صاحبه كان بالأمس مع أحد اليمنيين الحاسدين للملك سعود، وقرر والدي المبادرة لتغيير الحديث وهو متأفف. لقد كان أبي يعاني من تلك الضغائن منذ عمله مع الشريف، وحتى زمن الملك خالد، لكنه يعترف بخطاء بعض أسلافه ولا يكابر عن الحق، وينصح مجالسيه دوماً بعدم تحميل الأبناء جريرة أخطاء آبائهم، فكل نفس بما كسبت رهينة، ولا تزر وازرة وزر أخرى، ولكن أنى للحاقد أن يفهم ذلك؟ وهل من يبغض آبائك وأجدادك وإخوتك يمكن أن يحمل لك سوى الكره والحسد ، ومن يظن غير هذا سوى البلهاء

آنذاك (قرن4) قام الباطنيون بجريمة أخرى في جنوب اليمامة ، حيث واجه الفاطميون في تونس مقاومة عنيفة من الأمازيغ عرقلتهم عن التوسع غرباً ، لذا أوعزوا للقرامطة بتهجير عشائر من اليمامة شبه قسراً نحو الجزائر لإضعاف البربر ، وكان عدد غفير منهم من بني حنيفة وبعضهم يسكن شمال غرب نعام قتلوا واجلوا ، ومن بينهم قوم من تميم وذرية عامر الرحل (بنو هلال) وملاحمهم مسجلة في دواوين الشعر الضعيف الزجلي الذي لا يستند عليه كمصدر تاريخي ، وقد نقلوا معهم فكر الخوارج الذي تبناه بعض الأمازيغ في أبسط أشكاله (إباضية) لمحاربة الفكر الباطني . وكان ذلك قد تطور عندهم مع العقيدة الوهابية الرستمية الخبيثة ، عندما فر من العراق واليمامة بعض خوارج الإباضية هرباً من سيف ابن الزبير.

أثناء عملي في التنمية الصناعية العربية (بعد وفاة والدي) كنت أتباحث مع الزملاء في تونس والجزائر حول طبائع العمالة الصناعية عندهم في وهران وغرداية وسكيكدة ، ونتطرق لأثر الهجرة من نجد لتلك المنطقة ووجود الخوارج فيها، ولاحظت بين الناس من يلقبون الذواد من وادي نعام واليمامة ، وعرفت دور عبد الوهاب بن رستم في نشر فكر الخوارج الوهابية هناك قبل أكثر من اثني عشر قرناً ، لكن هذا المكتوب عن العبرة من سيرة والدي فقط ، لذا لن نتطرق إليها هنا.

في القرن الخامس عادت السكينة إلى وادي نعام والمجازة والخرج، بعد أن نجح التحالف بين القيسيين وبني صعصعة في كسر شوكة القرامطة، وجرى تأمين السبل للتجار والحجاج، وتفرغ الناس لعبادة ربهم وانجاز أعمالهم، وعاد البعض ممن ذهبوا للعراق والشام والحجاز ليسكنوا أملاكهم. آنذاك وفدت للمجازة حشود غفيرة من مذحج (قحطان) واستولوا عليها من حنيفة، ومن المعلوم أن هجرات قحطان (الواسعة) شمالاً، بدأت منذ زمن غابر مجهول، ثم تزايدت منذ انهيار سد مأرب حتى بلغت العراق وخراسان، وقد حدثت حزازات طفيفة بينهم وبين العدنانيون. ولا يخفى على علم الأحبة أن كلا الفريقين من أرومة كريمة، وفي كل فريق الفالح والطالح، وقد كان والدي لا يستحب تسمية قحطان بالعرب العاربة وعدنان هي المستعربة فإن النبي الكريم هاشمي قرشي مضري عدناني، وأن العروبة لا تنسب فقط ليعرب بن قحطان، بل أيضا لنسل نزار (من ذرية إسماعيل) الذين سكنوا وادي "عرباه" في الشام وغدوا بذلك عرب خالصين غير مستعربين. ومن يرغب من الأحبة معرفة المزيد عن الفتن والقتال بين قحطان وعدنان، يمكنه مراجعة ما جرى في بداية الربع الثاني من القرن الثاني عند بداية تأسيس دولة الإسلام في الأندلس، أو في بلاد خراسان زمن نصر بن سيار وأدت تلك الملاحم لسقوط دولة

بني أمية، وقبل نهاية القرن أصابت المنطقة كارثة الحملات الصليبية ، حيث كانت لها ثلاثة أسباب أولها طمع نصارى أوروبا في خيرات العالم الاسلامي ، وثانيها الوهن الذي أصاب الأمة والتقاتل والتناحر بين الولاة ، وثالثها سوء تصرفات الفاطميين ، الذين تمكنوا من السيطرة على مصر والحجاز والشام. ورغم أنهم من دهاة السياسة وحسن التصرف وتدبير الأمور بالذهب قبل السيف، إلا أن عقيدتهم الباطنية المشوشة دفعتهم لإيذاء بعض حجاج أوروبا لبيت المقدس (اورشليم) والتعدي عليهم. جاءت سفن أوروبا تحمل جيوش غفيرة من عساكر الصليب، واحتلوا سواحل الشام ثم توغلوا حتى وصلوا القدس، وذبحوا آلاف المسلمين في المسجد كما فعل الفساق قبلهم. ولم تبد دولة الفاطميين أي مقاومة لذلك العمل الإجرامي، الذي امتدت آثاره حتى وصلت اليمامة، والتي تمثلت في عنصرين أولها فرار بعض عشائر هوازن وقحطان جنوباً نحو نجد، وثانيها تشكل جماعات هامشية من البشر الرحل من وسط آسيا عملت مع الصليبيين وخدمتهم، وتعلموا منهم بعض الحرف مثل سبك وتشكيل المعادن الخفيفة، وصناعة كيماويات بسيطة، وتجهيز أصناف من الأطعمة المحفوظة. كما يرتحلون بين المدن في جماعات، وبعضهم تعمل فتياتهم في الرقص والغناء والدعارة، وفتيانهم في الاحتيال والسحر والخمور. لذا كان الكثير ينبذون وجودهم قرب مدنهم في اليمامة، فيفرون جهة شمال نجد أو عند سادتهم الصليبيون. وفي مطلع القرن السادس أصاب القحط الخرج، فهلكت المواشي والنباتات وجاع الناس كما في سدير والمحمل، وأدت الرياح الشديدة لدفن بعض السواقي بالرمال، وغدت المزارع الخضراء قاحلة، مما أجبر الكثير للهجرة شمالا نحو الخصب. وفي النصف الثاني من القرن السادس تمكن بعض الزنكية (اقسنقر) التركمان وأتباعهم (شيركوه) من كرد أرمينيا، أن ينتصروا على القلاع الجبلية الصليبية، كما حاربوا الفاطميين والباطنية وأجبروهم على التخفي في الجبال، ثم قاد صلاح الدين الأيوبي حملات تطهير مصر من الإسماعيلية. وعندما باشر تحرير القدس من الصليبيين عرض عليه بنو عامر المساندة، ولكن من حوله أشاروا برفض ذلك لكرههم للعروبة، واتهموهم باللصوصية والقرمطة. لقد فرح كل أهل القبلة عندما تحررت القدس وعاد إليها الأذان، لكن الحصون الصليبية على سواحل الشام استنجدت ببابا النصارى في روما، وخلال مدة وجيزة وصلت تعزيزات غير مسبوقة لا عن طريق البحر فقط، بل براً أيضا عبر اليونان والأناضول، بعد أن كان الأرثوذكس يرفضون التعاون معهم. وعندما رأى السلاجقة والترك والقرغز تلك الحشود تتجه نحوهم دخلتهم الذلة وغادروا المدينة المقدسة، فعمد صلاح الدين للاستعانة بالعرب الذين لم يهابوا تلك العساكر بقيادة ملوك وأمراء ودوقات وكونتات أوروبا، وهي تتجمع خارج الأسوار ثم تدكها بالمنجنيق الحارق، وعندما حدثت ثلمة كبيرة لم يترك الأبطال الفرصة لأهل

الصليب للدخول منها، بل سارع العرب للخروج والتحموا مع الغزاة، حتى هزموهم واضطروهم لطلب الصلح. كان على رأس المدافعين رجال من عشائر عامر بن صعصعة، وكثير من قبائل الحجاز ونجد واليمن، الذين التقى بهم الأيوبي وأثنى على بسالتهم ووبخ الشعوبيين لذمهم العرب.

عادت الأحوال الطيبة لوادي النعام في مطلع القرن السابع ، لكن بعد سنوات فوجئ أهله بجموع من غرب ووسط آسيا داخلة على بلاد العرب ، تبحث عن ملاذ آمن من الموت القادم من الشرق، وصل عدد منهم إلى اليمامة واستقروا بها، وأخبروا الناس بالفظائع التي قام بها المغول ثم حلفائهم من تتارستان، ولم يتمكن أحد من دحرهم حيث طوروا سبيكة حديدية قوية تجعل رؤوس حرابهم تنفذ من الدروع العادية ، كما لديهم خيول ضخمة نشيطة لا يرهقها حمل المقاتلين ذوي الدروع المصفحة ، وقد دخلوا بلاد "ترك إيمان" وخوارزمستان وقتلوا النساء والصبيان، أما الأمراء فيكبلونهم داخل أكياس ثم يركلونهم ويلعبون بهم كرة القدم، ويحرقون المصاحف والمساجد. استعد المضريون في نعام للذهاب للشام لصد المغول الهمج، لكن مماليك الأيوبيين في مصر (أقطاي وايبك ثم قطز وبيبرس) دحروا الحملة الصليبية السابعة (فرنشة) ثم خرجت جيوشهم من مصر بقيادة "الضباط المماليك" وخير جنود الأرض لدحر التتار قرب القدس. وفيما بعد هدى الله المغول إلى دين الحق وحسن إسلامهم (تاج محل والصولتية) وهو وحده الهادي للصراط المستقيم. إلا أن ذلك القرن لم يكد ينتهي إلا وقد أطلت فتنة في بلاد الشام، وهم باطنية جدد يدعون حرصهم على التوحيد وإتباع السلف الصالح، لكنهم يكفرون عامة أهل القبلة ويستخدمون أساليب متنوعة، مثل الكفر بالصفات والأسماء، مع أن السلف الصالح (مالك وابن حنبل) قد كفوا الناس عن ذلك حيث إن الصفات معلومة والكيفية مجهولة والخوض فيها بدعة. ورغم أن أهل السنة في الشام قد حاربوا ذلك، بل وضربوا رؤوس الفتنة بالنعال في الجامع الكبير، إلا أنهم وجدوا بعض ولاة المماليك يستعينون بهم لمحاربة مخالفيهم، وبعد السجن والتنكيل هرب بعض مشايخهم للسندوستان وأنشأوا مذهب "الصادة" لصرف المسلمين عن الدين القويم وجعلهم يكفرون بعضهم البعض ثم يقتتلون. ويدعون أنهم الفرقة الناجية ويزكون أنفسهم أنهم يدخلون الجنة بلا حساب ولا عقاب، ومن يخالفهم فهو من أصحاب الجحيم، وأخذوا يتقربون للتجار بتحليل المعاملات المشبوهة، أما الحكام فيساعدونهم بفتاوى تكفير من لا يرضخ لهم. سمعت في مجلس والدي رجل من كبار العاملين في الحكومة يسميهم "قرامطة السلفية" الذين لا يتورعون عن القتل والزنا والسرقة، حيث يغفر لهم ذلك لأنهم أهل التوحيد وحدهم وبقية أهل القبلة مشركون!

في العقود الأولى للقرن الثامن بداء يخيم على اليمامة زمن من الهدوء، المشوب ببعض مشاكل تداخل الأنساب القبلية، فبعد أن دب الوهن في القيسيين (العيون) حكام وسط وشرق جزيرة العرب، انقلب عليهم العصافرة الذين قالوا إنهم من بني صعصعة من هوازن، ومعتقدهم كما يقولون إنهم أهل سنة وجماعة، ويتوددون القوم بالعطايا والامتيازات، سواء من كان من أهل الكتاب والسنة أو من الروافض، مما شكك فيهم بعض من أهل اليمامة. في تلك الحقبة زاد حرص المنحدرين من هوازن على تثبيت عترتهم لمنع الدخلاء والمدعين، وبخاصة مع كثرة دخول غير العرب إلى وسط الجزيرة، كما أن هوازن المضرية العريقة هي وقريش سادة العرب، وتاريخهم مع النبي المضري معروف منذ حنين ثم الطائف (رجل من القريتين عظيم) وبعدها في الذود عن حمى الإسلام والعروبة، والمشاركة في الفتوحات، وبقية ولد عدنان أو يعرب قحطان يعرفون أنفسهم جيداً. لذا بادروا إلى تأسيس فرعين واضحين، أولهما ذرية معاوية – بكر – هوازن وآخر من ولد سعد – بكر – هوازن. والعترة الأولى من عدة عشائر (جعدة وعقيل وهلال وقشير وغيرهم) وأطلق عليها لقب "سبيع"، وهو اسم قديم لجماعة من هوازن، أما العترة الثانية (بني سعد) فهي أكبر واوسع من أختها وهم مرضعوا الرسول عليه الصلاة والسلام ولقبوا على اسم قديم لأحدهم هو "عتيبة"، واتفق على أن من يدعي نسبه لهوازن من غيرهما فعليه البينة، وبخاصة القادم من خارج جزيرة العرب. وقد سكنت عتيبة مواطن هوازن في الحجاز (مكة والطائف) وفي غربي نجد العالية (شعرا ودوادمي) أما سبيع فقد سكنت شرق الطائف (وديان سبيع القديمة) في رنية والخرمة، وجزء آخر في وسط القصيم، والموقع الرئيس لهم هو محور سبيع اليمامة، الممتد على شكل قوس جنوبه الأفلاج وشماله الرمحية والصمان، وقاعدته وادي نعام والمحمدي، كما يشمل منطقة رياض آل مقرن، وهي مدينة الرياض حالياً. لقد تولى قيادة نعام آنذاك "القواودة" (جمع قادة) وكانوا يذودون عن حمى وأملاك سبيع في منطقة شاسعة، عاصرت فيها رخاء غير مسبوق. حيث جاملهم حكام القطيف وسمحوا لهم بالمشاركة في استخراج محار الجوهر (لؤلؤ طبيعي) والمتاجرة في السلع الواردة من الصين وجاوه والهند وفارس، سواء عن طريق البحر أو عبر دروب القوافل، المحملة بالأقمشة والبهارات والبخور والأواني وغيرها من بضائع رائجة. وكانت سبيع تسيطر على المنطقة، وبتعاون لا يخلو من مناوشات مع بقية المتواجدين في الإقليم من تميم وحنيفة، وجموع متزايدة من قحطان وفدت عبر حقب ذات ظروف خاصة. ازدهرت الأحوال المعيشية والمالية في نعام، وجلبت العمالة الماهرة من الهند والحبشة، لحفر الآبار العميقة وتحسين أساليب الزراعة ورعاية المواشي، وجرى تصدير الفوائض إلى مناطق بعيدة، ودخلت منتجات جديدة مثل العسل في

مناحل على الجبال الشمالية، كما ذهب سبعان نعام إلى عُمان مسقط وتاجروا في الصمغ واللبان العربي الثمين. وبمرور السنين وتزايد نفوذ نعام حتى بلغ جو الخضارم (شرق الخرج) وبالمؤالفة مع العصفوريين حكام الاحساء، فقد تزايد سكان الوادي ووفد إليه العديد من السبعين والهوازن ورهط من العرب والعجم، يبحثون عن الأمن والرخاء. وقد جاء من العراق قوم يصارعون العصافرة في القطيف (منتفق) وكلاهما يذكر أنه صعصعي لذا عمدت قيادة نعام إلى التزام الحياد، وبعد فترة وجيزة ساعدوا جيران كرام من صعصعة لتولي السلطة في شرق البلاد.

لعشرات السنين في القرن التاسع كان آل جبر الذين ينحدرون من عامر هوازن ويحاربون مذهب الرافضة، يسيطرون هم وسبيع اليمامة على شرق ووسط جزيرة العرب، ولأول مرة منذ قرون ترتفع راية التوحيد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على تلك المناطق، بعد دحض افتراءات الخوارج والباطنية والروافض وأعمالهم الذميمة، رغم بعض المشاكسات العابرة بين الجبريين والسبعان. ولابد من الإشارة إلى أن نظام الحكم في المنطقة كان يرتكز على وظيفتين، أولاهما حفظ أمن قوافل التجار والحجاج، وثانيهما تحصيل الزكاة، أما خلافات الأهالي فتحل داخل كل أسرة أو عشيرة بنظام "الحاكومة" حيث يلجأ المتخاصمون إلى هيئة تحكيم تتوسط لفض النزاع، أما القضاء فلا يركن إليه إلا في المسائل المتشعبة أو العويصة. ويعمل العقلاء والشيوخ لحل الخلافات بالحسنى ، حيث إذا تضخمت النزاعات قد يعمد أحدهم لحلها بقوة السلاح لقد قام بنو تميم آنذاك بالاستيلاء على المجازة من القحاطين ، ولم يبقى فيها إلا قليل منهم وارتحل البعض نحو الوشم وربما أنهم أسلاف بني زيد، أما الغالبية فقد اتجهوا نحو الهياثم يرعون بهائمهم ويشربون ويأكلون ويتكاثرون بأعداد غفيرة ، كما وفد إليهم خلال تلك الفترة حشود ضخمة من قبائل وعشائر وعتر وأفخاذ من قحطان الواسعة، مثل الجحادر والعجمان ورفيدة وعبيدة وعمون ودهم وطئ ولام ويام ومرة وحمير وخوالد وهواجر ودواسر وأصبح لهم نفوذ في المكان.

في نهاية ذلك القرن والجميع في وادي نعام والمجازة وجو، يرفلون في رغد العيش والطمأنينة والإيمان بالكتاب والسنة، جرت الرياح بما لا تشتهي السفن، فقد وردت أنباء سيطرت الايبيريون على آخر مدن الإسلام في الأندلس، ولم يثر ذلك شدة القلق لدى السبعان في اليمامة نظراً لبعد المسافة، كما أن مدن الأندلس المسلمة كانت تتهاوي في يد الصليبيين منذ قرنين. ولكن بعد سنوات قليلة تبين خطاء ظنهم، فقد انقسم النصارى وتوجه الأسبان منهم غرباً (بجنوب) في بحر الظلمات، يعاونهم جماعة من بني زويلة (فنيزويلا) المسلمون ووصلوا أمريكا الوسطى.

أما أهل ميناء الغال (بورتو غال) فقد استعانوا بالخرائط البحرية التي أعدها الشريف الإدريسي، واتجهوا جنوباً بمحاذاة ساحل أفريقيا الغربي، حتى وصلوا رأس الرجاء الصالح ثم استداروا شمالا في المحيط الهندي. فوجئت الدولة الجبورية بسفن البرتغاليين تدخل بلادهم عن طريق خليج عمان، لذا هبوا يدعمهم أهل اليمامة للدفاع عن الدين ودماء المسلمين وأموالهم وديارهم، لقد كانت تلك أول مرة يشاهدون فيها المدافع، المصطفة على جوانب السفن الضخمة التي كأنها الجبال فوقها أشرعة كثيرة عالية، تتحمل الرياح العاتية في البحر المحيط. قبل نزولهم للشاطئ قام "البرتغيز" بدك تجمعات الأهالي على البر، وقذفوهم بحمم ملتهبة من النار والحديد والرصاص والحصى، مما أوقع في قلوب المدافعين الهلع حتى فر بعضهم طلباً للنجاة، وقاوم آل جبر ببسالة ومعهم من أهل مسقط كثير من العمونيين القحاطين الأبطال، وعدد من بني صعصعة الشجعان، ولفيف من بواسل اليمامة. كان الجد الأكبر لوالدي من المهرة في الغوص، لذا شارك مع ولده وعدد من المقاتلين في السباحة تحت الماء، حتى يبلغوا أسفل الزوارق الصغيرة التي تنقل عساكر الصليب نحو اليابسة، ويقوم الابن ومن معه من الشباب بهز القارب من أسفله فإذا هوى بعضهم للماء جروه من رقبته وطعنوه أسفل عظام الصدر فخثلوا (شقوا) بطنه وعند ذاك تسارع نحوه أسماك الخليج وتلتهمه، وكان المسلمون يصيحون إخثله يا السبيعي. لم يتمكن الغزاة من ايجاد موطئ قدم لهم على البر الغربي، ولكن الخونة من الروافض وكذلك من أهل إمارة هرمز على الجانب الشرقي قدموا المساعدة للبرتغاليين، إلا أن المقاومة المستميتة استمرت تصد هجمات البغاة وأعوانهم. كان رئيس الجبور (ابن زامل الجبر) في مكة، وعاد مسرعاً لترتيب الدفاع عن بلاده، لكن سفينته المتوسطة الحجم التحمت مع اثنتان من سفن البرتغال، فقاتلهم حتى استشهد. بعدها انكسر المدافعون فإن "نيران المدافع تغلب الشجاعة" وعاد خثلان ورفاقه إلى نعام في وجل شديد، أن يصيبهم ما أصاب الأندلس الفقيدة، داعين الله أن يسلمهم من حملات الصليبيين المسعورة على أرضهم الطيبة. قبل أن نكمل هذا العرض الموجز لبقية أحداث القرن العاشر، الذي شكل منعطف هام في تطور أوضاع نعام، نود التوقف قليلا عند نقطتين، الأولى تتعلق بالأماكن التي سبق أن أشرنا لها عند مقارنة مفهوم "البحرين" الحالية مع ما كان يعنيه المكان قبل خمسة قرون. لقد سمعت سمو الأمير عبدالله بن عبدالرحمن يتحدث لوالدي وبعض أهل اليمامة عن "الخضرمة" حيث اوضح لهم أن جو اليمامة هو ما يوجد شرق الخرج آنذاك (1377هـ) أما جو الخضارم فهو موقع مزرعته المسماة خان شليلة قرب معكال جنوب شرق الرياض، في حجر اليمامة. أما النقطة الثانية فتتعلق بالناس، حيث سبق أن أوضحنا أن هذا المكتوب لا علاقة له بعلم الأنساب، إنما هو لاستخلاص العبرة من السيرة، لكني أجد من

الواجب الإشارة لما سمعته في المجلس عن إنكار البعض لنسب بعض الجماعات، وهو مما حذر منه المصطفى بأن يدعي أحد النسب لغير أبيه، أو لمن ليسوا من أصوله، أو أن يطعن آخر في نسب غيره. للأسف أن هناك من يعمل على رفع خسيسته بنسبة نفسه لجماعات عريقة، أو أن يشكك في نسبة غيره لأصول متميزة، ولم يقتصر ذلك على الروافض، بل تابعهم "الليبراليون" وهم المتحررون من التقيد بفرائض الإسلام ونواهيه، مع الادعاء أن الليبرالية هي التقدم العلمي! لقد ناقش المجالسين لوالدي كثيراً مسألة إدخال العصفوريين في مضر وأنهم من عامر صعصعة، لمجرد أنهم متساهلين مع الروافض، بينما أنكروا ذلك على الجبريين وأكدوا أنهم من عامر عقيل وليسوا من مضر العريقة، لمجرد أن الجبور لم يستسيغوا ترهات الباطنية، حول قولهم أن علي هو الذي خلق الله؟ وأن الحسين خلق علي (أبوه) وأن النار قد خلقت الحسين، وأمثال ذلك من الكفريات لدى الباطنية الذين يريدون التقريب بين فكرهم وعقيدة أهل الكتاب والسنة.

في بداية القرن العاشر، تبين كذب البرتغاليين بادعاء أن هجومهم على خليجي عُمان والعجم سببه دفع أذى القراصنة العرب، الذين سلبوا تجارتهم القادمة من الهند، حيث قاموا بإدخال سفنهم من باب المندب، وأطلقوا مدافعهم نحو بر جدة، متوعدين بجلب المزيد من قواتهم لدخول مكة حرسها الله، مما يوضح بجلاء خبث نيتهم تجاه ديار المسلمين. عند ذاك أوصى مستشارو السلطان سليم، بالتوجه للدفاع عنها، وجاءت عساكر إسلامبول وسيطرت على الشام ثم مصر والعراق. وأصبح آل أبا نمي حكام مكة والطائف تحت حماية والي جدة العثمانلي، كما أوعز لوالي البصرة للمساهمة في صد البرتغاليين عن شرق جزيرة العرب، مما أدخل في قلوبهم الرعب من سطوة الترك، الذين احتلوا شرق ووسط أوربا بجحافلهم الضخمة المخيفة، مما حدا بالصليبيين لطلب الصلح والسماح لهم بمراقبة القراصنة من قلاع ساحلية محدودة. عادت السكينة إلى نعام وتمنى الجميع أن يتمكن العثمانيون من القضاء على الحركة الصفوية الخبيثة، على الطرف الشرقي من الخليج، ولم يحدث ذلك فتعزز وضع الرافضة في العراق وجزيرة العرب وبلاد فارس. وفي اليمامة أخذ دور بني حنيفة يضمحل وانكمشوا في واديهم، بينما ازدادت كثرة تميم وتوسعوا في المجازة والسوط وبرك وضواحيها، وأقاموا قرى محاطة بأسوار، أما هجرات قحطان نحو نجد فقد زاد معدلها، واندفعت حشود منهم نحو اليمامة والاحساء. كما لوحظ ازدياد ادعاء البعض انتسابهم للقبائل العدنانية في نجد، وتساهلت في ذلك حنيفة وتميم، أما هوازن وغطفان (مطير) فيشاكسون من يدس نفسه بينهم، ولا يسلم الأمر من حالات متفرقة إذا وجدت مصلحة ملموسة؟ حينذاك كان الخوالد قد حاولوا السيطرة على شرق الجزيرة واليمامة بعد زوال دولة آل جبر، إلا أن علاقتهم مع البصرة كانت مذبذبة، كما أن شريف مكة غدا له دور في حفظ

أمن وسط وشرق الجزيرة العربية، لذا تحالفوا مع قحاطين الهياثم (عائذ) وعملوا على إرضاء العثمانيين، وعززوا نفوذهم في الإحساء ونجد. في تلك الظروف حيث البلبلة حول مرجع السلطة بين مكة والبصرة، بداء الضعف يدب في قادة سبيع بنعام، وأثناء الربع الأخير من القرن وصل للبلدة وافد من سدير(حرمة) يريد الإقامة فيها لوجود ظروف سلبية في بلدته، وكانت عليه مظاهر طيبة وتزوج من إحدى قريبات أمير نعام، وأنجب ذرية وتوطدت علاقته مع الكثير. وبعد سنوات قليلة جاء ابن شريف مكة في طريقه شرقاً، لبحث أمور قوافل الحج، واختلف مع قادة البلدة حول العلوفة، فجرى نزاع وحصار تمت تسويته، إلا أن بعض الحرس قالوا إن ذلك الوافد كان يتخابر مع الغرباء، ونظراً لظروفه وأطفاله لم يمكن ترحيله. لذا شفقة من القواودة على الصغار، أمروا مسعود الجلاسي وأولاده بالجلاء عن نعام، وأرسلوه مع فرقة من السبعين يرأسهم ابن خثلان، وحددوا له منطقة شمال غرب في أعلى الوادي كان يسكنها رهط من حنيفة، بها أشجار طلح وسلم وسدر على مسيرة ثلاث ساعات، وبوشر في إحراق بعضها لتوفير مكان لإقامة مسكن ومزرعة له وعياله. وقد اعترض على ذلك حشد من البادية من سبيع والسهول والقحاطين، ولكن تعليمات الأمير ألزمتهم بالرضوخ والبحث عن مراعي أخرى في الجوار، كما قام ابن خثلان بإحراق جزء آخر لسكنه في الجهة الجنوبية الشرقية، القريبة من نعام لمنع الاحتكاك، وأمر بمراقبة الوضع وتنبيه قادة المنطقة عما يريب.

في مطلع القرن الحادي عشر كانت أحوال اليمامة جيدة رغم ما حل بها من جدب، أرغم البعض للتوجه شمالا للرعي حتى وصلوا الحد الجنوبي للوشم، حيث السفوح الغربية لطويق تنحدر منها رطوبة تنبت عليها بعض الأعشاب. أما الوضع الأمني فقد استتب بعد أن رضخ الخوالد للسلطة العثمانية، وقبلوا العمل تحت أمر والي البصرة كمساعديه في شرق ووسط الجزيرة، لقد كان دورهم ينحصر في أمرين، توريد نصيب اسطنبول من قيمة الثمار والبهيمة والتجارة، والأهم هو الأمن العالي، أي منع التعدي على القوافل المارة بالمنطقة. وبقي الأمر كذلك لنحو قرنين، رغم وجود بعض الخلافات بين فروعهم من آل حميد والغرير وعرعر بن دجين ثم ولده عريعر ذو النفوذ القوي، وبين آونة وأخرى تنشب خلافات مع ولاة العراق. كانت إدارة الخوالد تقوم على النمط "البعدي" فهم لا يتدخلون كثيراً في الشئون المحلية، ويحثون كل جهة أو بلدة على ترتيب أمورها ذاتيا، وأن تحل الخلافات داخل كل أسرة حسب العرف القبلي لديهم، وفي حال تفاقم النزاع يكون هناك قضاة أو هيئة تحكيم لتسوية الوضع، ولا يلجأون لإرسال قوة مسلحة إلا في حالات نادرة حينما يتفاقم الأمر ويمس الأمن العالي للمنطقة. لقد كان حكمهم يميل للعدل ومراعاة الوضع القائم، ويقدمون المساندة للمحتاجين قدر الإمكان، وشهدت

اليمامة في حقبتهم شيء من السكون والرخاء النسبي، مع تزايد زحف القحاطين نحوها حتى غدوا أكثرية. أود ذكر أنه في منتصف سبعينات القرن الماضي، رأيت في مجلس أبي رجال من آل عريعر ظننت للوهلة الأولى أنهم من آل سعود لملامحهم الراقية، وكان والدي يجاملهم ويبدو أن لهم معاملة أرض في أمانة العاصمة، لكن رجل حريقي صاح مستفسراً "ويش ترجعون يا بني خالد" فنهره والدي وقال هل هناك أسمى وأرفع من خؤولة جلالة الملك سعود أبو خيرين؟ لكن كبيرهم تبسم وقال "لا بأس يابوخالد خلي ربعك يعطونا ما عندهم" فقال أحدهم نظنكم قرشيون من نسل خالد بن الوليد، فسارع آخر بالقول أن سيف الله مات في حمص وليس له عقب وربما أنهم من كندة قحطان، وبادر ثالث بالقول أنهم مضريون من صعصعة. عند ذاك قال كبير الخوالد الصحيح أننا من إحدى تلك العتر، ونترك الأمر لمضيفنا ليبت فيه، فسارع والدي بذكر عدم تدخله في ذلك، وأن نسب أم تركي لا يضاهى (يقصد وضحاء العريعر) بدون ذكر اسم. ثم لا يسعني أن أغادر هذه الفقرة بدون أن أعرج على ذكر معرفتي برهط كريم منهم، حيث في ثمانينات القرن الهجري الماضي وأنا أدرس في الجامعة، كان يجاورنا رجال من آل عريعر في حي الظهيرة، ونتبادل الحديث أحياناً في الطريق للمسجد، ولفت انتباهي ما يتميزون به من صفاء الرؤية وعمق التفكير وعلو الذوق، بشكل يخالف بقية الجيران. لقد أسفت كثيراً لانتقالهم بعدها للسكنى في الرياض الجديدة (شمال الملز) لكن الله قيض لي المزاملة (بعد عشرين سنة) مع الدكتور عبد العزيز العريعر (وكيل وزارة المالية) ومندوبها في مجلس إدارة شركة التنمية الصناعية (بغداد) حيث كنت مندوب وزارة الصناعة، في الفترة قبل غزو الكويت. لمدة غير قصيرة كنا نتبادل الحديث خارج جدول عمل الشركة، وتطرقنا لتشيع بعض بني خالد، وأن سبب ذلك ليس حباً في الرافضة لكنه بغض للخدمة الإلزامية في الجيش العثماني (الجهادية) وحيث التزمت مع الأحبة أن يكون هذا المكتوب من مصدر وحيد هو مجالس والدي، لذا سوف أؤجل الحديث في غيره رغم أهميته. في مستهل الربع الثاني من ذلك القرن (11) ورد لنعام والحريق استغاثة من سبعين في جنوب سدير أن بعض تميم قد هجموا عليهم، فأرسل قواودة سبيع حكام وادي الفرع نجدة لهم، لصد ذلك العدوان. وبعد ذلك بسنوات جرت مشاجرة تطورت لنزاع دموي مقيت بين بعض سبعان الأفلاج والدواسر، وهب قواودة سبيع من نعام لنجدة أقاربهم جنوباً، لكن الأمور غدت سلبية مما أثر على مكانتهم وأدخل الوهن فيهم، وشاكسهم بعض القوم من سبيع ومن أهل الخرج.

قبل منتصف ذلك القرن (11) جرت في وادي الفرع حادثة مسيئة، حيث قام بعض من ذرية مسعود الجلاسي الوافد من سدير، وتأسست الحريق كمأوى لهم بعد جلائهم من نعام، لقد

قاموا يعاونهم رجال من سدير ودواسر ونفر من البادية والموالي، بعملية غادرة ضد أرحامهم من قواودة سبيع وقتلوهم بقصد الاستيلاء على حكم المنطقة. إن ما جرى في تلك الجريمة المشينة، من الأمور الحاوية لكم هائل من العبر، ورغم أن العلاقة بين القواودة والجلاسية قد ابتعدت عن التصادم الدموي لاحقاً، إلا أنه ليس بالإمكان إهمالها كلياً. فقد أدرجتها كتب التاريخ وتلوك الألسن حتى اليوم في تفاصيلها، كما يستغلها بعض الحاقدين لإثارة أمور سلبية قبيحة، ينجرف ورائها كثير من البلهاء الذين ينتشرون في المنطقة حالياً. لقد كنت شغوفاً بالاستماع إلى الحوار بين العم عبد الله بن ذواد (زوج عمتي) والعم ناصر الهزاني (من ذرية أخوال جدتي) في مجلس والدي رحم الله ثلاثتهم، فقد كانوا حريصين على البعد عن الإساءة في ردهم على الأسئلة الملحة عن تلك الحادثة الأليمة، وما جرى بعدها خلال القرنين التاليين. وسوف أحجب هنا عن الأحبة ما بلغني من معلومات، بعضها غير مؤكد وآخر مبالغ فيه، مناشداً البروفيسور حسين الذواد (جامعة جدة) ومن يرغب من الهزازنة الأفاضل لإيضاح ذلك، فقد أخطاء من قال إن الأمر قد عفا عليه الزمن، فإني أشهد أن الحاقدين حتى اليوم يتحدثون فيه بالضغائن والتدليس، مما يوجب على كل ذو شيمة وعقل أن يساهم بما يستطيع في دحض افتراءات المبطلين، ويلزم الشرفاء ببيان الحق وعدم ترك الساحة للمغرضين، وهو وحده الهادي إلى سواء السبيل.

في مطلع القرن الثاني عشر كانت نعام قد اضمحلت وزال دورها كقاعدة لمنطقة وادي الفرع، وغادرها كثير من قادتها السبعان، خوفاً على دمائهم وأعراضهم وأموالهم، من سطو بعض الأعراب وشذاذ الآفاق، الذين يستغلون الفتن لتحقيق مكاسب رخيصة. كما أن الدمار الذي حل بكثير من مبانيها ومرافقها في النكبة المؤلمة، جعل الحياة فيها قاسية خلال السنوات التي تلت ذلك، إضافة للخوف الدائم من نطق أحدهم بكلمة تغضب الطغاة، مما يؤدي لبطحه في السوق وضرب ظهره وبطنه. وفي نفس المرحلة تطورت الحريق، حتى غدت في حجم يقارب نعام في أوج ازدهارها، وعمل زعمائها على توفير متطلبات الزراعة والرعي والتجارة، مع عدم ممانعة توطن بعض أصحاب الحرف والصناعات الآبقين من أهلهم وتوفير ملاذ آمن لهم في تلك البقعة المنزوية. رغم المحاولات الحثيثة لتطوير الأعمال فقد عجزت الحريق عن تبوءا مكانة سامقة في المنطقة، فقد كانت الشكوك تحوم حول البعض، كما أن نفر من أهل سدير الذين وفدوا للإقامة في كنف الجلاسي لم يرتاحوا لأسلوب الغطرسة، لذا عادوا لديارهم شمالا حيث "الحيا" والسكون. أما المجازة ففي القرن السابق بداء ازدهارها، حيث تخوف بنو تميم من هجمات غادرة، لذا أقاموا سوراً يحيط بقريتهم الرئيسية (الحوطة) ويدفع الأذى، لذا اتسعت منطقتهم ووفد إليها عدد كبير من تميم، واتسمت أساليب إدارتهم بتقديم الورع والخلق السامي

على المصالح المادية التافهة والبعد عن قطيعة الرحم، رغم ما لديهم من بعض الارتباك أو الهيجان غير المخزي. أما آل خثلان فرغم ما تعرضوا له من إساءة أثناء فترة ما قبل النكبة، إلا أنهم كعادتهم الأصيلة منذ القدم يترفعون عن ايذاء البعيد ناهيك بالقريب وإن أساء لهم، فقد وفروا الحماية والرعاية لكل من لجاء لحماهم زمن الفتنة سواء من سبيع أو غيرهم. كما نأوا بأنفسهم عن الدخول في مشاكسات جانبية مع الجيران، وبخاصة أولئك الذين إذا تعاهدوا غدروا وإذا تخاصموا فجروا وإذا اؤتمنوا خانوا، والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون. قبل أكثر من مائة سنة حينما تأسست الحريق كضاحية لنعام، كانت قسمين على ضفة الوادي، يبعدان عن بعضهما مسيرة نحو نصف ساعة، والجزء الذي يلي نعام سكنه السبعان، والآخر شمال غرب للجلاسية، إلا أنه مع مرور الوقت وفدت أقوام وبنت واستقرت في الوسط حتى تلاصق القسمان. وبعد الفتنة شعر آل خثلان بالقلق والريبة، لذا باشروا في شراء أماكن السبعان أو غيرهم المجاورة لهم، وقاموا بتحصينها وجعل السكك بينها ضيقة وملتوية، وبعضه مسدود النهاية لا يعرف منفذه إلا هم وفي أعلاه مكامن للرماة، وذلك بقصد الدفاع عن حيهم وصد أي هجوم غادر، ولسهولة إقامة كمائن للبغاة لو جازفوا بالهجوم عليهم. إضافة لذلك زاد الخثالين في توطيد علاقتهم الوثيقة مع الخوالد في شرق اليمامة، والذين يتولون رعاية شئون نجد بتفويض من والي البصرة وشريف مكة، وحصلوا على حقوق صيد محار اللؤلؤ في الخليج، ورعاية قوافل تجارتهم مع البحرين والإحساء ومسقط، لذا ازدهرت أحوالهم المادية، كما أقاموا علاقة حسنة مع حكام اليمامة من طرف الخوالد وهم قحاطين عائذ، الذين يتسمون بالشهامة والشجاعة والنخوة، إلا أن آل خثلان بقوا مستقلين في أملاكهم وليس لأحد عليهم قول. عدة أمور جرت في تلك الحقبة، لن نزحم هذا الملخص بها، لكننا نشير أنه في تلك الآونة جرت تعديلات في بعض العائلات، حيث إنضوت في أسرة الخثلان جماعات كريمة من سبيع. أما قواودة نعام فبعد التنكيل بهم انضم بعضهم إلى أسر سبيعية أخرى بعيداً، أما من بقي في نعام متحملا الضيم فقد عدلوا الاسم إلى آل ذواد، وهو لقب أقل التباساً من السابق، وهو وارد في كتاب الله بقوله (امرأتين تذودان) أي تحميان الانعام. كما أن الجلاسية من وائل قد تغير لقبهم ليكون الهزازنة من عنزة، القبيلة الشمالية الكريمة، وآخرون ذكروا بني هزان حنيفة المنقرضة قبل القرن السادس، على يد الباطنية بالقتل أو الترحيل لأفريقيا. كما وفد لواديي نعام وبرك أقوام من الأشراف الحسنيين والدواسر والقحاطين والبادية، كما نشأت قرى وتجمعات سكانية جديدة.